جرى حفل توقيعه في دارة الفنون بعمان

«آفاق ومرايا» لرافع الناصري: قراءات سلسة وذكريات خاصة في الفن التشكيلي العراقي والعربي

عمان ـ «القدس العربي»
من يحيى القيسي:

استضافت دارة الفنون «مؤسسة خالد شومان» مؤخرا حفل توقيع كتاب «آفاق ومرايا ـ مقالات في الفن التشكيلي» للفنان العراقي رافع الناصري، والذي صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت، وقد احتوى الحفل على كلمة للمدير الثقافي للدارة الروائي إبراهيم نصرالله رحب فيها بالناصري وكتابه، وأشار الناقد والتشكيلي محمد العامري أيضا إلى خصوصية هذا الكتاب وملامحه داعيا إلى أن يواصل الفنان الناصري كتاباته ومذكراته في هذا الحقل الهام، كما بين الناشر ماهر الكيالي أهمية تجربة الفنان، وأنه سيصدر له قريبا كتاب آخر في هذا الاتجاه، مبينا قلة الدراسات والكتب التي تتناول التشكيل عادة، أما الفنان الناصري فقد أشار باختصار إلى تشجيع أصدقاء له في عالم الصحافة على الكتابة في هذا الاتجاه ومن بينهم د. نبيل الشريف الذي كان يتولى رئاسة جريدة «الدستور» الأردنية، والشاعر أمجد ناصر مشرف القسم الثقافي في القدس العربي اللندنية، وغيرهم.

الكتاب الذي جاء في 114 صفحة يضم مجموعة من المقالات وصور بعض اللوحات بالأسود والأبيض التي تناولها الفنان، ومقدمة للناصري جاء فيها «عندما أقمت معرضي الشخصي» عشر سنوات... ثلاثة أمكنة على قاعة متحف البحرين الوطني عام 1999، وعرضت فيه بعض ما أنتجته من رسم وطباعة في العراق والأردن والبحرين، فوجئت وسررت بمنظر لم أعتد عليه سابقا، ألا وهو مشاهدة كل الأعمال الفنية المنتجة في أزمنة وأمكنة مختلفة معروضة أمامي على جدار واحد.

كانت التجربة مفيدة على الأقل لفهم الخط الذي سارت عليه تجربتي الفنية وتقييم ما أنجزته، حينها خطرت على بالي فكرة تجميع كل ما كنت نشرته في الصحافة العربية من مقالات في الفن التشكيلي خلال السنوات العشر الماضية لإعادة قراءتها وتقييمها من جديد، واختيار الصالح منها في النشر المحدود أو التوثيق. لم تكن فكرة وضعها في كتاب مستقل واردة بتاتا، فأنا لم أعتبر كتابة المقالات في يوم من الأيام نوعا من النقد الفني، فهذا اختصاص آخر غير اختصاصي، أما ما أكتبه فهو نوع من بث الأفكار الفنية

رافع الناصري (القدس العربي)

والذائقة البصرية المعاصرة، بصيغة مقالات لم أكن أجرؤ على نشرها لولا تشجيع زملائي وأصدقائي الفنانين، وبعض الأصدقاء من مسؤولي الصفحات الثقافية في الصحافة العربية في الوطن العربي أو المهجر، وقبل كل هذه تشجيع العزيزة مي، إضافة إلى تحملها كل أفكاري العجيبة وتجاوزاتي اللغوية المتكررة، بدءا من حلول الفكرة الأولية للمقالة ولغاية اكتمالها ونشرها سالمة سليمة..».

الكتاب جاء في ثلاثة أقسام أولها «في التجربة العراقية» ويضم المقالات التالية وتاريخ نشرها:

«عشرة فنانين ـ تعبيرية الثمانينيات 1992، نديم... بداية الاحتراف 1992، ليزا فتاح ـ محمد مهرالدين ـ اسماعيل فتاح ـ معرض مشترك في عمان 1992، سامر أسامة: عنفوان التجريد 1992، بغداد.. الإبداع دائما 1993، الهجرة الفنية.. أليس كذلك؟ 1993، جبرا إبراهيم جبرا أستاذنا في الفن والحياة 1995، شاكر حسن آل سعيد ما هو الرسم؟ 1995، إسماعيل فتاح : ملمس اليد وحركة الروح 1996، خمسون عاما من فن الغرافيك العراقي المعاصر 1999، ثلاث صور فوتوغرافية لا تنسى ـ إلى روح أستاذي اسماعيل الشيخلي 2002، جبرا إبراهيم جبرا في قلب المشهد التشكيلي العراقي 2003، عن الفن العراقي المعاصر ورموزه الفنية 2002، البحث عن آفاق الشرق ـ محطات في التجربة الشخصية 2001، أما القسم الثاني الذي جاء بعنوان «في التجربة العربية» فقد ضم المقالات التالية : أصيلة مدينة الضوء والألوان 1992، سامر الطباع حوار مع الحجر 1994، غرافيك مصري، محمد مهرالدين، علي طالب، ثلاث حالات لمشهد تشكيلي واحد 1994، دارة الفنون ـ تجارب تشكيلية جديدة، مساهمة فنية في فعالية الامتزاج الحضاري 1994، الفن العربي المعاصر ودور المعاهد الفنية في تطوره 1998، فارسان في أفق الغرافيك العربي المعاصر ـ عبد الجبار الغضبان وعباس يوسف 2000، الملصق العالمي من أجل فلسطين 2001، فن الغرافيك العربي المعاصر : آفاق عالمية 2001، فن النحت العربي المعاصر ـ محمود مختار وجواد سليم نموذجا 2002، أما القسم الثالث فقد تناول فيه الناصري بعض التجارب العالمية وضم المقالات التالية: محترفات فنية : تحت سقوف قديمة 1991، متحف كوينكا بوابة الفن الاسباني المعاصر 1991، رجع الصدى لرسالة من ماليزيا 1992، رفائيل البرتي.. رساما 1992، ترينالي النرويج العالمي لفن الغرافيك 1995 ـ الجائزة الكبرى لليابان والجائزة الأولى للعراق، زيارة فنية إلى باريس : منحوتات بيكاسو، الفن القبطي ومدن أدونيس 2000.

المقالات المذكورة كان نشرها الناصري في القدس العربي اللندنية، الدستور الأردنية، جريدة الرأي الأردنية، مجلة كلمات ـ استراليا، جريدة أخبار الخليج البحرينية، أو كان كتبها خصيصا لإلقائها كمحاضرة أو شهادة في بعض المطويات المرافقة للمعارض، ومن الواضح لغته السلسة، وتعبيراته الرشيقة عن الأفكار التي يطرحها، فلم يبد منظرا نقديا بلغة تجريدية، ذات دلالات غائمة،إنما جاءت منسابة من خبراته الطويلة، وذكرياته الأثيرة، لتنقل لنا جملا واضحة، وتحمل الصدق، والرغبة في الاحتفاء بالتجارب، والإطلالة عليها بيسر أكثر مما تحمل معها النقد التقييمي الجاف، ولعل في إشارة الناصري إلى جهود زوجته الشاعرة مي مظفر في دعمه في هذا الاتجاه ما يدل على لمساتها الأنيقة في التحرير، والتشذيب، وهذا أمر عادي، فحتى كبار الأدباء يتعرضون إليه، ولكن مثل هذه الكتابات تحتاج حقا إلى نوع من المثابرة، والاستمرار فيها، فهي في النهاية تسد نقصا في هذا الجانب، ولا سيما أن حقل الكتابة في المجال التشكيلي العربي يبدو أنه ما يزال بكرا، وينتظر المزيد.

يقول الناقد التشكيلي والفنان فاروق يوسف عن الكتاب عبر كلمات نشرها التشكيلي محمد العامري في مقاله عن التجربة في جريدة «الدستور» الأردنية:

«.. في كتابه خص الناصري طلابه الذين هم سادة المشهد التشكيلي العراقي بكلمات لم يقلها لهم مباشرة بل كتبها لترافقهم مثل تميمة سحرية، بعد كل قسوة هناك حنان مفاجيء يهب تلك القسوة معنى بداهة الأخوة وإيماءة الرضا، يذكرهم كما لو أنهم وصيته إلى الرسم: نديم كوفي، سامر أسامة، عمار سليمان، حيان عبد الجبار، مظهر أحمد، هو الآن لا يعدهم بشيء وكلامه لا يحمل إليهم أي نوع من الاطمئنان، ذلك لأنهم الآن يواجهون أقدارهم الشخصية، ومع ذلك فإن شهادته ضرورية، هو الذي رعى خطواتهم الأولى إنما يعني نجاحهم بالنسبة إليه هبة القدر التي تبقي خزائنه الروحية مفتوحة إلى الأبد، كما في الحياة، فإنه في الكتابة يتنقل بخفة بين موقعي المعلم والصديق، وهي صفته التي تكشف عن قوة إيمانه بما يفعل، لا يريد للرعاية أن تكون وسطا لعلاقة تعرضت للكثير من التحولات، طلابه السابقون هم اليوم قامات لافتة في مجال الفن لذلك اختار الناصري أن لا يكون حذرا في الكلام عن تجاربهم الفنية، بل إنه رأى كل التجارب من جهة ما تشكله من تحد فني خاص، وقد التقط في إشاراته البارعة المواقع العصية التي تضع تلك التجارب في سياق أصالتها الشخصية».

بقي أن أشير إلى أن الفنان رافع الناصري من مواليد عام 1940، وعندما أنهى المرحلة الأولى من دراسته الفنية في معهد الفنون الجميلة، متخصصا في الرسم، اختار الصين لتكون محطته الدراسية التالية، وحين تخرج في أكاديمية الفن المركزية في بكين عام 1963 أقام معرضا شخصيا لأعماله في هونغ كونغ، قبل عودته لبغداد، وقد درس فن الحفر والطباعة في بكين إلى جانب فن الرسم، وكان بذلك أول فنان عراقي يتخصص بفن الحفر، التحق بزمالة دراسية في لشبونة لمدة سنتين مارس خلالها فن الحفر، وهناك تخلى عن تكويناته الواقعية واتجه نحو التجريد، كما وجد في استخدام الحرف العربي وسيلة تعبيرية، في عامي 1974 و1975 التحق بمشغل الحفر التابع للأكاديمية الصيفية في سالزبورغ، وظل يلاحق فيما بعد التجارب العالمية في مجال الحفر، وقد كان واحدا من جماعة «الرؤية الجديدة» وساهم في جميع معارض هذه الجماعة.

تتوزع أعمال الناصري بين فني الرسم (اكريليك على القماش أو الورق)، وأعمال الحفر والطباعة (غرافيك)، وبالتحديد الحفر على الزنك، وتكاد التجربتان تسيران مع بعضهما البعض، وتتطوران معا وقد أقام الناصري عددا كبيرا من المعارض الشخصية في مختلف العواصم العربية والعالمية، وتحتل تجربته مكانة عالية في المشهد التشكيلي العربي.

في عام 1987 أنشأ في بغداد محترفا خاصا بفن الغرافيك هو الأول من نوعه هناك، وبدءا من العام 1991 انتقل للعمل في كلية الفنون بجامعة اليرموك في الأردن، قبل أن ينتقل إلى العمل في جامعة البحرين، ليكون أستاذا محاضرا ورئيسا لمركز البحرين للفنون الجميلة والتراث، ليعود بعدها إلى عمان حيث يقيم الآن.

ندوة عن الكتابة النسائية في المغرب

الرباط ـ «القدس العربي»:

أكد الناقدان المغربيان هشام العلوي وبشير القمري في ندوة نظمت بالرباط، أن البوح عند المرأة يحمل جرأة المكاشفة والاعتراف كأسلوب في الوجود، ونمط في الكتابة يترجم مضامين أعمالها الزاخرة بالصور والأحاسيس والسلوكات النابعة من تاريخها الشخصي ومعيشها اليومي.

وأضافا في الندوة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب ووزارة الثقافة بالرباط بتعاون مع مسرح محمد الخامس تحت عنوان «الكاتبة المغربية وجرأة البوح» أن هذه الجرأة «تستمد صفتها البوحية من طبيعتها الفاضحة والصادمة في تقديم الذات كما هي عارية من الأصباغ والحجب والأقنعة».

وأوضحا أنه أمام هذه الجرأة المزدوجة ثمة نقد مزدوج «يتلبس فيهما الأدبي بالثقافي والفني بالأخلاقي، بحيث يغدو البوح مقتربا للتحقيق البيوغرافي المرتبط بحياة الكاتبة حينا، وأحيانا أخرى للمعالجة النقدية المتعالية التي تتذرع بالدفاع عن مقومات الكتابة وتعاليم التعبير الجمالي من أجل إدانة أو إقصاء نص تجرأت صاحبته على التابوهات».

وتساءلا عن السر وراء قلة النصوص السير ذاتية في المنجز النسائي ودواعي كتابة نصوص البوح والشهادة باللغة الفرنسية، وكيف يمكن تفسير إقبال كاتبات من خارج المؤسسة الأدبية، على البوح بدون مواربة بلاغية أو أجناسية، بتجاربهن الشخصية في الاعتقال والتعذيب والمعاناة والألم من مثل فاطنة البوبه وحليمة زين العابدين وعايدة حشاد ورشيدة يعقوبي وفاطمة أوفقير والنساء اللواتي تقدمن بشهاداتهن في جلسات الاستماع العمومية لهيئة الإنصاف والمصالحة

وقالا إن الكاتبة المغربية «ازدادت في العقدين الأخيرين انفتاحا على بلاغة الجسد الأنثوي والذكوري أيضا، وصوبت اهتمامها بتبئير أكثر نحو أبعاده الحسية والإيروسية في بنية موضوعاتها، مدخلة اللغة والسرد إلى غرف النوم ومضاجع اللذة وحميمية العلاقات الخطرة، وغيرها من المواطن التي اعتادت الذائقة النسائية التعبير عنها بالإيحاء والتلميح».

وقال تقرير لوكالة الانباء المغربية ان الناقدين لاحظا أن الكاتبات أخذن، من خلال إنشاء مواقعهن الإلكترونية ومشاركتهن في المجلات والمنتديات الرقمية، يملأن بالتدريج ذلك الفراغ الذي يلاحظ على مستوى المنجز النسائي في الأدب الشخصي بعيدا عن عين ويد رقباء الفضيلة.

وصنفا الكاتبات المغربيات إلى قسمين، كاتبات «لا يتجاوزن حدود الذات بالمعنى الضيق للذاتية في تصور العالم» مقابل كاتبات «تتنصل الذات لديهن من قيودها وتتجاوز حدود وعيها الخاص بعالمها كأنثى» معتبرين أن الأمر يعد انخراطا في خلخلة اليقين وفي الشهادة والاعتراف عن الواقع والمجتمع والمؤسسة والتاريخ...الخ.

واعتبرا أن «الكاتبة والروائية خديجة مروازي تستل جرح الزمن السياسي في روايتها (سيرة الرماد) بينما تعانق رجاء الطالبي ميتافيزيقا الوجود وتميل ثريا ماجدولين إلى خلخلة المكبوت وتكسر ربيعة ريحان جاهزية الأشياء وتفتت عائشة البصري الأزمنة النثرية، أما ليلى الشافعي والزهرة المنصوري فإنهما تحاكمان بلاغة الجسد وخطابات الحريم، وكذلك الشأن بالنسبة للشاعرتين إكرام عبدي ووداد بنموسى اللتين تراهنان على إمكانات الخروج من دائرة الحجز».

وقالا ان «ما يوحد بين جميع الكاتبات المغربيات هو ما يمكن أن يسمى ببنية الفقدان مشروطة برؤية للعالم تكاد تكون تراجيدية».

الفنانة الاردنية هيلدا حياري تحصد جائزة الشرف التقديرية في بينالي دكا

عمان ـ «القدس العربي»:

حصلت الفنانة الاردنية هيلدا حياري على جائزة الشرف التقديرية في البينالي الاسيوي الذي يعقد كل سنتين في مدينة دكا في بنغلادش وقد شاركت الاردن هذا العام مع خمسين دولة اسيوية وشاركت معظم الدول العربية والاسيوية في هذا التجمع الفني المهم، ويذكر ان بينالي دكا الاسيوي من اهم البينياليات في العالم سواء بجديته او بالمنافسة الاسيوية كل سنتين.

ويأتي فوز الفنانة الحياري يوم أول امس اعترافا آخر بأهمية الساحة الاردنية وقدرتها على المنافسة ضمن فعاليات دولية كبرى واعترافا من قبل لجنة التحكيم الدولية والتي تكونت من خمسة محكمين اثنين من بنغلادش وثلاثة من اوروبا حيث تلقت الفنانة هيلدا حياري دعوة خاصة من ادارة البينالي بعرض اعمالها. وعرضت الحياري 3 اعمال كبيرة بحجم (150 X 150) سم من تجربتها الجديدة والمستمرة والتي جاءت نتيجة بحث طويل ودائم في فلسفة الدائرة وفلسفة الفنانة الخاصة وصولا الى تقنيات السطح الغنية التي عرفت بها اعمال الحياري. وقد صرح امس الفنان القطري يوسف احمد ان فوز الاردن مشرف جدا في هذا البينالي المهم والذي حسب ما رأى انه تنافس قوي جدا وواضح للجميع وفي هذا السياق صرحت الفنانة انها سعيدة جدا بحصولها على اول جائزة دولية وبمنافسة قوية جدا مع بقية البلدان. واضافت: ان هذا الفوز لي ولبلدي الحبيب ولجميع الفنانين الاردنيين والتي اتمنى دائما ان يعملوا بجدية للمشاركة في

هيلدا حياري (القدس العربي)

هذه الملتقيات الفنية المهمة.

وقالت الحياري: «قدمت اعمالا جديدة تخص البينالي الاسيوي واشتغلت عليها بتقنيات جديدة لم اعرضها في عمان بعد لكني ما زلت مستمرة في طرح فلسفتي الخاصة سواء في اعمالي التصويرية او بالفيديو ارت حول الدائرة وصراعات الكون بشكل دائري متحرك .. فكنت وما زلت انظر لكل ما حاولي ليس بخط مستقيم محايد فأرى البشر جميعا بصراع دائري من نقطة البداية وهي الحياة».

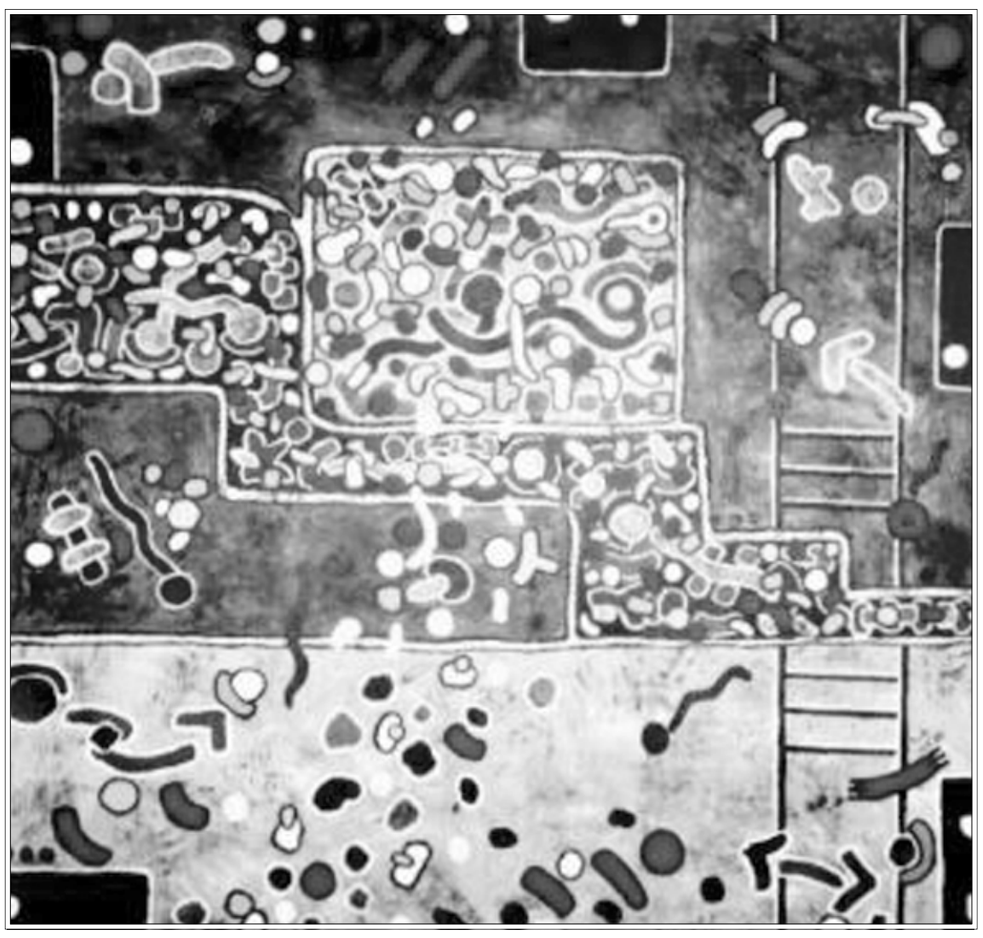

احد اعمال الفنانة (القدس العربي)

تداعيات

وماذا لو عاد الابن فسرد حكايات والده؟

محمد حيدر*

■ لا بد انني اتمنى كما تمنى الصديق (زياد عدوان) في مقالته السابقة في «القدس العربي» (06/03/11) ان يبدأ الابن يوما بقص حكاياته على والده قبل النوم، وان يترك هذا الاخير فرصة لنفسه ولابنه ليستمع لما يريد ان يحكي... ولكن لنتخيل لو ان الابن بدأ بقص نفس الحكايات التي يحكيها الوالد عادة ...اتصور عندها ان ابتسامة انتصار ستظهر على وجه الاب وشعورا بالخذلان سيظهر عند الابن، شعورا سرعان ما سوف يتلاشى ليصبح شعورا بالرضى والفخر عما قام به مستمدا ذلك من ابتسامة الاب....اما الاب فسينطق ويقول لابنه: اهلا بك في عالمنا.. الآن اصبحت (رجلا).. الآن اصبحت (مثقفا).

ان المحاولة الموضوعية لتحليل وانتقاد الثقافة العربية، اساليبها، افكارها ونتائجها ليست مراوحة جديدة في المكان كما يعتبر الصديق (زياد)، وليست عاملا معيقا لحدوث تقدم او تغيير ثقافي نبغيه ويبغيه الجميع، بل على العكس، فعدم دراسة التجربة التي خاضتها والتي مرت بها الثقافة العربية خلال الخمسين عاما الماضين سوف يؤدي الى الوقوع من حيث لا ندري في نفس اخطاء وتراكمات هذه الثقافة: اولا لانها لم تخضع حتى الآن لدراسة ونقد موضوعيين وجريئين، وثانيا لان المثقفين الشباب الجدد المطالبين ـ وربما المقتنعين هم انفسهم ـ بضرورة احداث قفزة ثقافية وشكل ثقافي جديد ومختلف عما سبق لم يخرجوا بعد لا زمنيا ولا ايديولوجيا من طروحات المثقفين الذين حملوا لواء الثقافة العربية، أي انهم بشكل او بآخر ما زالوا متأثرين باساليب وافكار هذه الثقافة، ومما يزيد الامر تعقيدا على هذا الجيل الشاب المثقف الساعي لايجاد صيغ جديدة هو ظهور ظاهرة جديدة في الوسط الثقافي العربي تعزز اكثر فاكثر التقاليد والطروحات القديمة، وهي ظاهرة انتقال او نقل او ربما انتاش المورثات الفنية والثقافية والفكرية عائليا او لنقل بشكل اكثر اصطلاحي ظاهرة (توريث الثقافة).

اما ثالثا وهو الاهم ان ما يحدث اليوم من ظروف سياسية وتغيرات اجتماعية في الوطن العربي وعلى الرغم مما تبدو عليه من استثنائية فهي في الواقع تشبه الى حد بعيد الظروف والاحداث التي كانت في الستينيات والسبعينيات، أي الظروف التي انتجت الافكار والاساليب والتوجهات الثقافية التي نتحدث عنها، فالخوف من الخطر الاسلامي المتطرف ومن الصراعات الطائفية والعصبية والدخول في تحالفات سرية او معلنة مع احدى القوى الكبرى لتأييد حكم سياسي او عسكري ما وضياع فلسطين والجولان والشعور بالخذلان واليأس..... كلها عناوين عريضة كانت في السابق وعادت لتظهر الآن وان كان مع تغير بعض التحالفات ومع تغير شكل الدمى و(الفزاعات) السياسية من فزاعة الشيوعية الى الفزاعة الرأسمالية الى الفزاعة الاصولية الى الفزاعة الديمقراطية، وهنا يأتي القلق الحقيقي من عودة الثقافة القديمة بخطاباتها وتوجهاتها وبضياعها ايضا وايضا في علاقات صدامية مع هذه الدمى.

يحضرني الآن الشعور الذي انتابني منذ خمس سنين عندما دعاني صديق الى حضور مجموعة من الافلام السينمائية القصيرة التي قام بتمثيلها واخراجها مجموعة من الاصدقاء الشباب المثقفين في نهاية اتباعهم ستاج في الاخراج السينمائي. عشرون فيلما هي التجربة السينمائية الاولى وبالتالي هي هامش التعبير والحرية الاول لعشرين شابا تتراوح اعمارهم بين عشرين وسبع وعشرين عاما، تخلو باستثناء فيلم او اثنين من قصة حب بسيطة او من علاقة الشاب مع اهله او مع ما يحيط به من تعقيدات. عشرون فيلما قائمة على افكار وتنظيرات مؤدلجة ومؤطرة، من الافكار البروليتارية بمشاهدها المباشرة جدا كسيارة المارسيدس الفارهة التي تأتي لتقف امام طفل فقير يبيع العلكة الى الافكار الثقافية النخبوية الى الافكار التي تحمل نوعا من المعارضة السياسية الخجولة التي تجعل من الدرك والعسكر السبب في كل فشل وكل عجز عن تحقيق شيء ما....الخ.

لماذا؟ (واعود لاكرر سؤال الصديق زياد) اليس فيهم من يعشق او يحب او ينزعج من تعليقات اسرته او يمتلك تفاصيل صغيرة في حياته؟ لماذا حاول هؤلاء الشباب العشرون بينما هم يخرجون اعمالهم ان يكونوا المخرج السوري اسامة محمد او محمد ملص او سواهم وان يتقمصوا افكارهم واشكالهم الثقافية؟ ولماذا عندما يحاول عشرون آخرون ان يكتبوا نصا مسرحيا فسوف يكتبون بنفس افكار ومقولات سعد الله ونوس او محمد الماغوط؟ لماذا من ليس فقيرا منهم او لا يحس بصدق بمعنى الفقر عليه بالضرورة ان يكتب عنه وان يحاول وصفه، هل من اجل الحصول على تصنيف ثقافي ما؟ لماذا من لا يشعر حقا بانتماء قومي واضح وباهمية كلمات مثل ضياع فلسطين والجولان عليه بالضرورة ايضا ان يدخل في بكائية شعرية ليحصل على تصنيف ثقافي آخر؟ لماذا وانطلاقا من كوننا مثقفين وفنانين علينا دوما ان نحمل على اكتافنا عبء قضايا واسئلة –مقتنعين بها ام غير مقتنعين ـ وان نجلد بها قراءنا ومشاهدينا؟ الا يكفينا ما لدينا حول هذه المواضيع العميقة والحساسة من كليشهات وخطابات سياسية اعلانية ومن استغلالات مبتذلة لمشاعرنا تجاه هذه القضايا؟

ربما الآن، ادرك لماذا.....لانه ليس لدينا وليس لدى هؤلاء الشباب سوى ذاكرة مشوّهة وارث فكري ونفسي مليء بالكليشهات والعبارات الطنانة على كافة المستويات السياسية، الدينية، التربوية وحتى الثقافية والفنية، حتى في هذا المجال الذي يحبون ان يعملوا فيه وان يبدعوا فيه ويحب آخرون ان يقرأوه وان يشاهدوه، يبحثون فلا يجدون الا تعاليم و اجوبة جاهزة، لم يتح لنا لا سابقا ولا الآن فرصة ان نبحث بانفسنا عن اجوبتنا الخاصة وان نذهب باسئلتنا وبحوارنا حيث نشاء وحيث تأخذنا خصوصيتنا الانسانية وليس أي خصوصية اخرى.

كيف يمكن لنا ولهذا الجيل المسكون بالاشباح ان يكون قادرا ان يكتب وبكل بساطة حكاية سهلة من حياته تعبر عنه وعما يريد ويستطيع ان يذهب بخياله معها؟ هل علينا ان نمسح ذاكرتنا تماما وهل نستطيع ان نفعل ذلك؟ هل علينا ان ننتظر جيلا جديدا يكون بعيدا زمنيا،على الاقل، عن هذه الايديولوجيات ام ان ايديولوجيات من نوع آخر (واخطرها ديني كما يبدو) سوف تجتاح عقول الجيل القادم الذي لن يكون امامه مع ترهّل ما اورثناه الا الدخول فيها؟ هل علينا ربما وكمحاولة أخيرة ان نقف بصراحة وبسرعة لنناقش ما حصل معنا وما مر بنا، لنلقي ستارا حديديا على علاقتنا مع كل ما مضى ونضع اساسا واضحا وانسانيا وحقيقيا لما سيأتي؟

كل ما ينبغي ان نكونه هو ان نكون انفسنا، انفسنا بالتفاصيل الصغيرة الجميلة او حتى المخجلة التي تظهر في كل حدث يومي، ان نكتب وان نفكر وكأننا ندوّن مذكراتنا اليومية، ما حصل معنا خلال اليوم وما شعرنا به دون زيادة او نقصان ودون ابعاد أخرى، ان يقدم لنا هؤلاء الاصدقاء في افلامهم المقبلة صورتهم كما نعرفها، كما نراها ونحبها في الحياة والواقع..... ما نطلبه صعب حتما، وكم هو قاس ان نصل الى هذه المرحلة التي يكون فيها صعبا علينا ان نكون اشخاصا عاديين، نفكر ونبدع ونحلم ونتربى بأقل قدر ممكن من القيود، من الكليشهات ومن التلوث الفكري والنفسي، ولكن ومع ذلك لا بد من المحاولة والبدء.

ليست كلمة (مثقف) او (فنان) لقبا نخبويا او شهادة فخرية، وليست القيود والتراكمات الاجتماعية والدينية والقضايا الايديولوجية كما وصفها الصديق (زياد) حيطان يصعب اختراقها او هدمها بل هي اغشية رقيقة موجودة في داخلنا جميعا، والمثقف او الفنان هو الوحيد القادرعلى الاقتراب منها، لا بد من ان نقترب منها نمسّها، نلامسها ونحاورها، لا ان نبتعد عنها ونتعالى عليها او بالعكس نخترقها و نحاول تمزيقها –كما فعلت ثقافتنا دوما– فذلك سيجعلها تنتج تجاه الثقافة وتجاه العالم اجمع رد فعل وتطرفا كبيرين.... ان نمسّها مرة واثنين وثلاثا حتى نجعلها تدرك بنفسها كم هي هشّة ورقيقة وكم تخفي خلفها اشياء حقيقية، عظيمة واكثر اهمية.

* مسرحي من سورية يقيم في فرنسا